

المثل التاسع

صفوان عليه تراب

obeikandi.com

## المثل التاسع: صفوان عليه تراب

يقول الله تعالى:

{يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ  
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ  
فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من رأى بها الناس، فأظهر لهم أنه لا يريد إلا المدح والثناء وشكر الناس له إلي غير ذلك من المقاصد الدنيوية بقطع النظر عن الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، دون إيمان واحتساب؛ ولهذا قال: {وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} ثم ضرب الله تعالى مثل من يؤمن ويؤذي بصدقته بالذي ينفق ماله رياء الناس لا لوجه الله تعالى، ثم مثل هذا المرابي بصدقته بصفوان - أي بحجر كبير أملس - عليه تراب فيظنه الناس أرضاً خصبة طيبة، فإذا أصابه وابل أي مطر شديد أذهب عنه التراب وتركه صلداً أي ناعماً أملس، فكذلك هذا المرابي، فالمن والأذى والرياء يكشف عن سوء النية فتبطل الصدقة، كما يكشف المطر عن الحجر الأملس بإزالة ما علاه من التراب، فقد ذهب كله، وكذلك أعمال المرابين تذهب وتضمحل وتذوب عند الله تعالى وإن ظهرت في أعين أصحابها وللناس كالتراب كثرة وخصوبة ونماء، ولهذا قال تعالى: {لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا} أي لا يقدر المرابي والمنان

والكافر الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر علي الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم عند حاجتهم إليه، إذا كان لغير الله فعبر عن النفقة بالكسب، لأنهم قصدوا بها الكسب. {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} أي لا يوفقهم ولا يسددهم إلي الإيمان والاحتساب والإخلاص لله رب العالمين لأنهم اختاروا الضلالة والرياء والسمعة بأعمالهم وقدموا المصالح الدنيوية الدنيئة علي المصالح الأخروية السامية واستحبوا العمى علي الهدى، قال أحدهم:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن :: ليس الكريم إذا أسدى بمتان

{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور: ٣٥].

\*\*\*

المثل العاشر

جنة ربوة

obeikandi.com

## المثل العاشر:

### جنة ربوة

يقول الله تعالى:

{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتُ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٦﴾} [البقرة: ٢٦٥].

هذا المثل ضربه الله تعالى للمنفقين أموالهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته عن إيمان واحتساب وإخلاص لا يرجون ثناءً من أحد ولا مدحاً ولا يطلبون بنفقاتهم إلا مرضاة الله تعالى ولذلك قال الله تعالى: {وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} أي تصديقاً ويقيناً، بمعنى أن أنفسهم تثبتهم علي الإنفاق في طاعة الله عز وجل، وأن نفوسهم موقنة بوعد الله وراجية لثوابه الذي لن يتخلف، بخلاف المنافق والمرائي بإنفاقه فإنهما لا يحسبان الثواب، فمثل هؤلاء المخلصين الموقنين المنتبئين {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} أي بستان تغطيه الأشجار المثمرة بشتى صنوف الفواكه يزدهر علي ربوة وهي المكان المرتفع، وما كان كذلك فنباته أطيب ونتاجه أوفر؛ ولذلك خصّ الربوة بالذكر: {أَصَابَهَا وَابِلٌ} أي مطر شديد {فَتَأْتُ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ} أي أعطت ثماراً ضعف ما تعطي غيرها من الجنان، فما تعطيه في عام تعطيه غيرها في عامين، {فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ} هذه الجنة طيبة التربة عالية المنزلة غزيرة الإنتاج في كل الأحوال حتى وإن لم يصبها وابل من المطر الشديد، فطلٌّ يكفيها ويرويها لتؤتي أكلها ضعفين، والطل الندي، وقيل أضعف المطر،

وقيل الرذاذ من المطر. قال القرطبي: فشبّه الله تعالى نمو نفقات هؤلاء المخلصين الذين يُربي الله صدقاتهم كتربية الفلّو<sup>(١)</sup> والفصيل<sup>(٢)</sup> بنمو نبات الجنة بالربوة الموصوفة بخلاف الصفوان الذي انكشف عنه ترابه فبقي صلداً.

أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ يُصِجْهَا وَابِلٌ} قال: تلك أرض مصر إن أصابها طل زكت، وإن أصابها وابل أضعفت، إلا أن الآية أعم من ذلك وأشمل.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: ٢١].

\*\*\*

(١) الفلّو: المهر الصغير وهو ولد الفرس.

(٢) الفصيل: ولد الناقة.

المثل الحادي عشر

إعصار فيه نار

obeikandi.com

## المثل الحادي عشر:

### إعصار فيه نار

يقول الله جل وعلا:

{ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } [البقرة: ٢٦٦].

قال البخاري في تفسير هذه الآية: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ أنه قال: فيمن ترون هذه الآية نزلت: { أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ }؟ قالوا: الله أعلم؛ فغضب عمر، فقال قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضي الله عنه: ضربت مثلاً بعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: " لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق عمله ". قال ابن كثير معقياً علي الرواية السابقة: وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً، ثم انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياداً بالله من ذلك، فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من العمل الصالح؛ فاحتاج إلي شيء من ثمرات عمله الأول وهو في أضيق الأحوال وأمس الحاجة إلي شيء من حسناته الأولى، فلم يحصل منه علي شيء { لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا }

[البقرة: ٢٦٤]، وخانه أحوج ما كان إليه كرجل {وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ} أي أطفال صغار عند ضعفه وهرمه وعجزه {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ} وهو ريح شديدة عاصفة {فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} أي أحرق ثمار بستانه وأباد أشجاره ودمر جنته وما فيها من خير كثير وكسب طيب وفير فلم يعد لديه قوة ليغرس مثله، ولم يكن عند ذريته خير يعودون به عليه؛ وذلك لصغرهم وضعفهم.

قال ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم: " كذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا ردّ إلي الله عزّ وجل ليس له خير فيستعذب كما ليس لهذا - الرجل الهرم العاجز - قوة فيغرس مثل بستانه كما لا يغنى عنه ولده؛ فحُرم أجره عند أفقر ما كان إليه، كما حُرم هذا - الرجل - جنته عندما كان أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته "، ولهذا قال الله تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أي تعتبرون وتفهمون الأمثال ومعانيها وتنزلونها علي المراد منها، كما قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣].

\*\*\*

المثل الثاني عشر

يتخبطه الشيطان من المس

obeikandi.com

## المثل الثاني عشر: يتخبطه الشيطان من المس

يقول الله تعالى:

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ۲۷۵].

يضرِب الله تعالى في هذه الآية المثل لأكلة الربا - وساء مثلهم -، فهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه ومس الشيطان له، فهو يتخبط في قيامه، وكلما قام صُرع ووقع لأن بطونهم أثقلتهم بما امتلأت سحتاً ورباً.

قال القرطبي: وقالوا كلهم: يبعث كالمجنون عقوبةً له وتمقيناً عند جميع أهل المحشر، ويقوي هذا التأويل قراءة ابن مسعود للآية: {لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} في الآية تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلي تجارة الدنيا بقيام المجنون، لأن الطمع والرغبة تستنزفه حتى تضطرب أعضاؤه فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا ثم العذاب من وراء ذلك، وقوله: {يَأْكُلُونَ} أي يكسبون الربا ويستحلونه، وإنما خص الأكل بالذكر لأنه أقوى مقاصد الإنسان في المال، ولأنه دال على الجشع وهو أشد الحرص، فأقيم الأكل مقام الكسب كله، فاللباس والسكن والادخار والإنفاق علي العيال داخل في قوله: {يَأْكُلُونَ} ولأن الربا شائع في المطاعم، روى ابن أبي حاتم وأحمد من حديث الإسراء قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتيت ليلة

أسري بي علي قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا».

وروى البخاري عن سمرة بن جندب في حديث المنام الطويل: قال رسول الله ﷺ: «فأتينا علي نهر - حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم - وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا علي شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فيفغر له فاه - أي يفتح له فمه - يلقمه حجراً» وذكر في تفسيره أنه أكل الربا.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَاُ}.

قال البيضاوي في أنوار التنزيل: أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلي الربح فاستحلوه استحلاله، وكان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع، ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا عليه البيع.

{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاُ} إنكار لتسويتهم وإبطال القياس بمعارضة النص.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: ٢١].

\*\*\*

المثل الثالث عشر

مثل عيسى

obeikandi.com

## المثل الثالث عشر:

### مثل عيسى

يقول الله تعالى:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾} [آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

قال أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري في أسباب النزول:

قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ} الآية.

إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا، قال: وما

أقول؟

قالوا: تقول: إنه عبد، قال: أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها

إلي العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير

أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال القرطبي: قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ}

من ترابٍ} دليل على صحة القياس، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق

من غير أب كأدم لا علي أنه خلق من تراب فإن آدم خلق من تراب،

ولم يُخلق عيسى من تراب، فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن

شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب ونزلت هذه الآية بسبب وفد

نجران حين أنكروا علي النبي - ﷺ قوله: «إن عيسى عبد الله وكلمته»

فقالوا: أرنا عبداً خلق من غير أب، فقال لهم النبي ﷺ: «آدم من كان أبوه؟

أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فأدم عليه السلام ليس له أب ولا أم».

فذلك قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}

[الفرقان: ٣٣].

ولما دعاهم إلي الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك، فقال: " كذبتكم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولداً، وأكلكم الخنزير، وسجودكم للصليب " فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}.

قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت: هو مثيله في إحدى الطرفين فلا يمنع اختصاصه بونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب؛ فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبيته، وعن بعض العلماء انه أسر بالروم، فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له، قال: آدم أولي لأنه لا أبوين له.

قال ابن كثير في تفسيره:

فالذي خلق آدم من غير أب - ولا أم - قادر علي أن يخلق عيسى بطريق الأولى.

و الأخرى - أي من أم بغير أب - ثم قال: ولكن الربّ جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال في سورة مريم: {وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ} [مريم: ٢١]، وقال ههنا: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا

تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ} أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، فلما رأوا في خلق عيسى - صلى الله عليه وعلي نبينا وسلم - عجباً وخرقاً للعادة عبوده من دون الله واتخذوه ابناً للإله وجعلوه ثالث ثالثة، ومثله في ذلك كمثل آدم عليه السلام، فإن في خلقه من تراب عجباً أشد من خلق عيسى وخرقاً أكبر للعادة من خلق عيسى، ورغم ذلك لم يقل عاقل متدبر في خلق الله وقدرته: إن آدم ابن الله أو هو الله أو ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فأولى لهم مع تعجبهم من خلقه دون أب واستغرابهم ذلك أن تخرّ جباههم وتخضع أعناقهم لله رب العالمين اعترافاً بطلاقة قدرته وعظيم صنعته وحكمته وتصديقاً بوحدانيتها وتنزيهاً له سبحانه وتعالى عن أن يكون له صاحبة أو ولد، هذا من ناحية خلقه عليه السلام، أما من ناحية فعله، فنطقه في المهد وإحيائه الموتى وإبرأه الأكمه والأبرص وصنعه للطير ونفخ الروح فيها، فكل ذلك كان بقدره الله وتأييده وأمره لأنها معجزات أجزاها الله تعالى علي يديه ليؤمن الناس برسالته، فعبدوا من أجريت علي يديه المعجزات وتركوا عبادة الرب المجيد القدير الذي خلق المعجزات وأدعوا له ولداً. سبحانه!!

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمٌ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾} [الزخرف: ٥٧ - ٥٩].

{انظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}

[المائدة: ٧٥].

{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: ٢٥].

\*\*\*

obeikandi.com

المثل الرابع عشر

ريح فيها صر

obeikandi.com

## المثل الرابع عشر:

### ريح فيها صر

يقول الله تعالى:

{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران: ١١٧].

قال ابن عباس: والصر: البرد الشديد، وقال عطاء: برد وجليد، وقيل أصل الصر من الصرير وهو صوت الريح الشديدة.

وقال الزجاج: هو صوت لهب النار التي فيها تلك الريح، وقال ابن كثير في تفسيره: {فيها صر} أي نار، فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء بالنار، {أصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته} أي فأحرقته بتلك الصاعقة إذا نزلت فدمرتة وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع وأفسدته فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه، فكذلك الكفار يحرق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا كما يذهب ثمره هذا الحرت بذنوب أصحابه وظلمهم، وكذلك هؤلاء فقد بنوها علي غير أصل - من الإيمان والتوحيد - وعلي غير أساس - من الإخلاص والاحتساب - {وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون}.

وقال القرطبي: ومعنى الآية: مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها كمثل زرع أصابه ريح باردة أو نار فأحرقته وأهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء بعد ما كانوا يرجون فائدته

ومنفعته {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ} بذلك - أي بإحباط أعمالهم - {وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى.

وقال الزمخشري في الكشاف:

شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي أصابه البرد الشديد فذهب حطاماً، وقيل: هو ما كانوا يتقربون به إلي الله مع كفرهم، وقيل: ما أنفقوا في عداوة رسول الله ﷺ فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله، ثم قال: هو من التشبيه المركب، فالمعنى: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح لحرث قوم ظلموا أنفسهم، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح لحرث قوم ظلموا أنفسهم.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (٤٣)

[العنكبوت: ٤٣].

\*\*\*

المثل الخامس عشر

مثله كمثل الكاب

obeikandi.com

## المثل الخامس عشر:

### مثله كمثل الكلب

يقول الله تعالى:

{ وَأَقْلَبَ عَلَيْهِمُ بَأْسَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ } [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

أختلف في هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، فقيل هو بلعم أو بلعام بن باعوراء قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقيل هو صيفي بن الراهب، قاله قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد ابن أسلم: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً في زمانه وتمني أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آمن لسانه وكفر قلبه» فإن له أشعاراً ربانية وحكماً، ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام، وقال مالك بن دينار: هو من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلي ملك مدين يدعوه إلي الله فأقطعته - أي من المنح والهدايا - وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام.

هذا، والمشهور الراجح عند المفسرين أنه بلعام بن باعوراء،

وكان من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام وكان مجاب الدعوة وكان يعلم اسم الله الأعظم، وقصته ساقها ابن كثير في تفسيره عن محمد بن إسحاق بن يسار عن سالم عن أبي النضر: أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه فقالوا له: هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وإنا قومك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادعُ الله عليهم، قال: ويلكم، نبي الله معه الملائكة والمؤمنون، كيف أذهب أدعو عليه وأنا أعلم من الله ما أعلم؟! قالوا له: ما لنا من منزل، فلم يزلوا به يتضرعون إليه حتى فتنوه، فركب حمارة له وتوجه إلي الجبل الذي عليه عسكر بني إسرائيل فبركت به الحمارة فضربها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى بركت به فضربها فلم يزل يضربها ويرغمها علي السير حتى نطقت وكلمته حجه عليه، فقالت: ويحك يا بلعام أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟! تذهب إلي نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم، فلم ينزع عنها، فضربها، فسارت كارهة مرغمة حتى أشرفت به علي رأس الجبل فجعل يدعو علي موسى ومن معه، فلا يدعو عليهم بشر حتى صرف الله لسانه إلي قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلي بني إسرائيل، فقال له قومه أتدري يا بلعام ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال: فهذا ما أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه، واندلع لسانه فوق علي صدره، فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، فسأفكر لكم وأحتال، جملوا النساء وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلي العسكر يبعنها فيه، ومُرُوهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كُفيتموهم، ففعلوا فوق بنو إسرائيل في الزنا وتمادوا فيه

حتى أرسل الله عز وجل عليهم الطاعون فأهلك منهم سبعين ألفاً، والمقلّ يذكر عشرين ألفاً في ساعة من النهار إلي أن قام مَنْ عصمه الله من هذه الفتنة وقتل من وقع فيها بحرْبته ونظر إلي السماء وهو يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك، ورُفِع الطاعون.

{مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ} لما اندلع لسان بلعام علي صدره شبّهه الله جل وعلا بالكلب في لهْته في كلتا حالتَيْه: إِنْ أُجِر يلهث وإِنْ تُرِكَ يلهث، كذلك هذا الذي انسلخ من آيات الله بعد أن كساه الله بها وزينه بها إِنْ تدعُه إلي الإيمان وتعظه بالإِنابة إلي الرحمن لا يستجب ولا ينتفع بالموعظة، وإِنْ تتركه لا ينتفع أيضاً بعدمها ولو شاء الله لعصمه من الفتنة والمعصية وتبته علي الإيمان فرفعه إلي الجنة {وَلَنَكْنِهُنَّ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} أي إلي لذاتها وشهواتها وركن إليها، {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} أي ما زين له الشيطان وتولي الكفار وحول هواه إليهم فضرب الله له مثلاً بالكلب فهو يلهث في كل حال في التعب يلهث وفي الراحة يلهث وفي المرض يلهث وفي الصحة يلهث وفي العطش يلهث وفي الري يلهث كذلك الذي انسلخ من آيات الله، إِنْ وعظته ضل وإِنْ تركته ضل، كقولهِ تعالي: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ} [الأعراف: ١٩٣].

{فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} فاقصص يسا محمد قصص السابقين ومنهم بلعام لعل بني إسرائيل العالمين بحاله وما جرى له من فتنة وردّه بسبب انسلاخه من آيات الله ونعمه التي أسبغها عليه واستعمال تلك النعم فيما يغضب الله معاداةً لأوليائه وموالاته لأعدائه من بعد ما تبين له الهدى، لعلهم يتفكرون فيحذروا أن يكونوا مثله، وللأسف كان أكثرهم بعد ذلك فاسقين وأصبحوا مثل بلعام فكنتموا العلم الذي أتاهم

الله وانسلخوا من آياته وتنكروا لسيدنا محمد ﷺ بعد أن عرفهم الله بصفاته في كتابهم فعاتوه وآذوه وحاربوه، فأولى لهم أن يكونوا أحق الناس وأسبق الناس إلي اتباعه وتصديقه ومناصرتة ومؤازرتة.

وأياً ما كان المقصود من هذه القصة، بلعام أو غيره، فإن فيها عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فقد { سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ } أي ساء مثلهم فهم كالكلاب الضالة التي لا هم لها إلا تحصيل الطعام والشراب والشهوة، فمن خرج عن العلم والهدى بعد أن علمه الله وهداه وأقبل علي شهوات نفسه وأخذ إلي الأرض واتبع هواه صار كالكلب، وساء مثله.

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا مثل السوء، العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه».

وأخرج الحافظ أبو يعلى بإسناد جيد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام، اعتاده إلى ما شاء الله، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره» نعوذ بالله تعالي من الخذلان وسوء العاقبة ونسأله سبحانه السلامة وحسن الخاتمة وأن يديم علينا لباس التقوى والإيمان وأن يتوفانا علي طاعته وهو راض عنا مسلمين غير مبدلين وأن يلحقنا بالصالحين. آمين.

\*\*\*

المثل السادس عشر

الحياة الدنيا

obeikandi.com

## المثل السادس عشر:

## الحياة الدنيا

يقول الله تعالى:

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ} [يونس: ٢٤].

هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها وسرعة زوالها وانقضائها وذبول نضرتها وتحول جمالها ونعيمها عن أهلها، فمثلها في ذلك كله كمثل ماءٍ أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الأرض، أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً مما يأكل الناس من الزروع والثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من الحشائش {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا} أي زينتها الفانية وبهرجها الخداع {وَازَّيَّنَتْ} أي تجملت بما خرج في رباها من زهور ناضرة وثمار يانعة مختلفة الأشكال والألوان وحدائق ذات بهجة تسر الناظرين {وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا} أي على حصادها والانتفاع بما زرعه وعرسوه، فبينما هم كذلك إذ {أَتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا} أي جاءهم أمر الله بتدميرها وإهلاكها وإتلافها وتعذيب أهلها بما اقترفت أيديهم {فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ} أي محصودة ذابلة يابسة بعد الخضرة والنضرة والجمال كأنها لم تكن عامرة ناضرة من قبل، وهكذا الدول والممالك بعد زوالها كأنها

لم تكن، قال تعالى مخبراً عن الهالكين الغابرين: {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثِيًّا} ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا { [هود: ٦٧ - ٦٨].

وقد يعتقد البعض أن كلمة {أَمْرُنَا} في الآية تعني يوم القيامة لتدمير الأرض كلها وتحويل بهجتها وجمالها ونضرتها خراباً يباباً، وهذا خطأ واضح لأن يوم القيامة لا يقع تحت الاحتمال بقوله تعالى: {إِيَّالَا أَوْ نَهَارًا} وذلك لأن يوم القيامة محسوم ميقاته في علم الله تعالى نهاراً لا ليلاً وفي يوم جمعة تحديداً، ثم قال الله جلّ وعلا: {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ويتدبرون ويتذكرون وينتفعون بما يضرب الله من أمثال.

ولذلك قال سبحانه:

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: ٢١].

وهذا المثل للحياة الدنيا سيُضرب أكثر من مرة بالفاظ شبيهة لهذه الآية مع اختلاف يسير في سور أخر سوف أتناولها في حينها وترتيبها إن شاء الله تعالى.

\*\*\*

المثل السابع عشر

الأعمى والأصم

obeikandi.com

## المثل السابع عشر:

### الأعمى والأصم

يقول الله تعالى:

{ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾  
 أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ  
 يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي  
 الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ  
 رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ  
 كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ }

[هود: ١٩ - ٢٤].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (لما ذكر تعالى حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وبهذا ورثوا الجنات المشتملة على الغرف العاليات والقطوف الدانيات والحسان الخيرات والفواكه المتنوعات والنظر إلى خالق الأرض والسموات، وهم في ذلك خالدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون ولا يبصقون ولا يتمخضون، إن هو إلا رشح مسك يعرقون، ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين فقال: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} أي الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين بالسعادة، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع، فالكافر أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينفع به {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} [يونس: ٤٢].

{أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} {يونس: ٤٣}، {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} {الأنفال: ٢٣}، وأما المؤمن ففطن ذكي بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الحق ويترك الباطل، سميع للحجة فلا يروج عليه باطل، فهل يستوي هذا وذاك {أَفَلَا نَذْكُرُونَ} أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وأولئك كما قال تعالى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} {الحشر: ٢٠}، وكقولسه: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} ١١ {وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ} ٢٠ {وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ} ١١ {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} {فاطر: ١٩ - ٢٢}.

قال البيضاوي في أنوار التنزيل: {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} أي تمثيلاً أو صفةً أو حالاً {أَفَلَا نَذْكُرُونَ} بضرب الأمثال والتأمل فيها، وقال البغوي في معالم التنزيل: قال الفراء: لم يقل: هل يستوون، لأن الأعمى والأصم في حيز كأنهم واحد لأنهما من وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد لأنهما من وصف المؤمن {أَفَلَا نَذْكُرُونَ} أي تتعظون.

وقال الزمخشري في الكشاف: شبّه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من (اللف والطباق)، وهو لون من البديع في علم البلاغة.

\*\*\*

المثل الثامن عشر

كباسط كفيه إلى الماء

obeikandi.com

## المثل الثامن عشر: كباسط كفيه إلى الماء

يقول الله تعالى:

{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۗ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾} [الرعد: ١٤].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} التوحيد، لا إله إلا الله {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله {كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ} قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه؟ وقال مجاهد: {كَبَسِطَ كَفَيْهِ} يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبداً وقيل: المراد كقباض يده على الماء، فإنه لا يحكم منه على شيء، كما قال الشاعر:

فأصبحت مما كان بيني وبينها :: من الود مثل القابض الماء باليد  
ومعنى هذا الكلام أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضاً، وإما متناولاً له من بُعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله آلهة غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال جلّ وعلا:

{وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ} قال القرطبي: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} يعني الأصنام والأوثان {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} أي لا يستجيبون لهم دعاءً ولا يسمعون لهم نداءً {إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} ضرب الله

عز وجل الماء مثلاً ليأسهم من الإجابة لدعائهم، لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد، وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه: الأول: أن الذي يدعو إلهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً لأن الماء لا يستجيب، وما الماء ببالغ إليه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفه فيه ليلبغ فاه وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يجمد في كفه شيء منه، وزعم الفراء أن المراد بالماء ههنا البئر لأنها معدن الماء وأن المثل كمن مد يده إلى البئر بغير رشاء<sup>(١)</sup>.

وشاهده قول الشاعر:

فإن الماء ماء أبي وجدي :: وبثري ذو حفرت وذو طويت  
قال الإمام علي ؑ: هو كالعطشان على شفة البئر فلا يبلغ قعر  
البئر، ولا الماء يرتفع إليه، ومعنى {إِلَّا كَبَسِطِ} إلا كاستجابة {كَبَسِطِ  
كَفِّيهِ إِلَى الْمَاءِ} فالمصدر مضاف إلى

الباسط، ثم حُذِفَ المضاف، وفاعل المصدر المضاف مراد في  
المعنى وهو الماء، والمعنى: إلا كإجابة باسط كفيه إلى الماء،

واللام في قوله: {لِيَلْبَغُ فَاهُ} متعلقة بالبسط، وقوله: {وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} كناية عن الماء، أي وما الماء ببالغ فاه، ويجوز أن يكون كناية عن

(١) الرشاء: الدلو.

الفم، أي وما الفم ببالغ الماء {وَمَا دَعَاهُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} أي ليست عبادة الكافرين الأصنام إلا في ضلال، لأنها شرك، وقيل: إلا في ضلال أي يضل عنهم ذلك الدعاء فلا يجدون منه سبيلاً، كما قال تعالى: {أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا} [الأعراف: ٣٧].

وقال ابن عباس: أي أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يستجيب دعاءهم.

قال الزمخشري في الكشاف: وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فييسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه، وقرئ: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} بالتاء {كَبَسِطِ كَفَيْهِ} بالتنوين {إِلَّا فِي ضَلَالٍ} إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجيبهم، وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم.

{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} [محمد: ٣].

\*\*\*